التنوع الدّلالـــــي لكلمة أمة في القــرآن

د. خالد إبراهيـــم عليّ حســـين ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب واللغات
جامعة طرابلس
kalidhossen@gmail.com

Semantic diversity of the word (ummah) in the Qur'an

Dr. Khaled Ibrahim Ali Hussein
Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Languages -
University of Tripoli

Abstract
In the Holy Quran, any word has great value and great importance; because it is the origin which the meaning revolves around, so you find that every word in the Quran is the most suitable for its place; and the word Ummah is with multiple meanings that become clear from the context of the speech and from the evidence, or through the situation in which it is said, which is called semantic diversity, and revealing this diversity through its verses that are organized in a miraculous context.
This study is distinguished by tracing the word (ummah) in the Holy Quran and explaining its multiple meanings. This paper is to shed light on the semantic diversity of the word (ummah), taking the Holy text of Quran as a model for application. The paper was divided into an introduction and five chapters. The first chapter: Ummah means group, the second chapter: Ummah means followers of the prophets, the third chapter: Ummah means the man who he with goodness, the fourth chapter: Ummah means religion and faith, and the fifth chapter: Ummah means time and age, appended with the most important results reached by the researcher.
Keywords: Semantic diversity - ummah - group - religion and faith - time and age.

المقدِّمـــــة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن للغـــة العربيـــة علاقة خاصة بالدين الإسلامـــي تتميز بها عن علاقة سائر اللغات في العالم بدياناتها السماوية أو الوضعية، ويعود السبب الأول لهذه العلاقة إلى نـــزول القرآن الكريم باللغة العربية، وما نجم عن ذلك من تقديس المسلمين للغة العربية كتقديسهم للقـرآن.

فالإسلام كان دفعاً جديداً لرقي اللغة العربية، وجاء هذا الدفع عن طريق القـــرآن نســـقاً جديداً في التعبير إلى جانب الشّعر والنثر، فكان القـرآن الرابط الأقـــوى بين اللغة والدّين، فالقرآن هو الفيصل في الدين واللغة العربية، وفي ذلك قيل: إن لغة القرآن تختلف اختلافاً غير يســـير عن لغة الشـــعراء السائدة في الجزيرة، فلغة القرآن تعرض -من حيث هي أثر لغوي- صورة فذة لا يدانيها أثر لغوي في العربية على الإطلاق، فالقرآن يكشـــف الستار عن عالم فكري تحت شعار التوحيد لا تعد لغة الكهنة والعرافين المسجوعة إلا نموذجاً واهياً(1) ، وكلما تردد النظر في القرآن كان الجديد الذي يمكن أن يقال، فهو كتاب لا يخلق عل كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه؛ بل إن الأجيال والأحقاب تنقضي ولما يُحط الناس بتأويل كل ما فيه، وهذه آية من آيات خلوده وإعجازه لكل عصر، وآية عمومه، وأنه آخر كتاب ينزل لهداية البشر إلى يوم الدين (2)

وقام الباحث بهذه الدراسة ساعياً إلى تقصي لفظة الأمـــة في جميع مواضعها في القرآن الكريم وتتبع معانيها في أهـــم المراجع اللغوية المعجمية التي توفرت لديه، وقد قسّـــم الباحث هذا البحث إلى خمسة مباحث المبحث الأول: الأمة بمعنى الجماعة، والمبحث الثاني: الأمة بمعنى أتباع الأنبياء، والمبحث الثالث: الأمة بمعنى الرجل الجامع للخير، والمبحث الرابع: الأمة بمعنى الدين والملة، والمبحث الخامس: الأمة بمعنى الحين والزمان، وخاتمة.

المبحث الأول ـ الأمة بمعنى الجماعة:

أورد اللغويون وأصحاب المعاجم أن المعنى اللغوي للفظة (أُمـــة) بضم الهمزة وكسرها هو: الجماعة من كل شيء. قَالَ الْخَلِيلُ: "كُلُّ شَيْءٍ يُضَمُّ إِلَيْهِ مَا سِوَاهُ مِمَّا يَلِيهِ فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي ذَلِكَ الشَّيْءَ أُمًّا. وَمِنْ ذَلِكَ أُمُّ الرَّأْسِ وَهُوَ الدِّمَاغُ. تَقُولُ: أَمَمْتُ فُلَانًا بِالسَّيْفِ وَالْعَصَا أَمًّا: إِذَا ضَرَبْتَهُ ضَرْبَةً تَصِلُ إِلَى الدِّمَاغِ. وَالْأَمِيمُ: الْمَأْمُومُ، وَهِيَ

– أَيْضًا- الْحِجَارَةُ الَّتِي تُشْدَخُ بِهَا الرُّؤُوسُ"(3)، وقال ابن منظور: "اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُضَمُّ إِلَيْهِ سائرُ مَا يَلِيهِ فإِنَّ العربَ تُسَمِّي ذَلِكَ الشَّيْءَ أُمّاً، مِنْ ذَلِكَ أُمُّ الرأْس وَهُوَ الدِّماغُ، والشجَّةُ الآمَّةُ الَّتِي تَهْجُمُ عَلَى الدِّماغ. وأَمَّه يَؤُمُّه أَمّاً، فَهُوَ مَأْمُومٌ وأَمِيم: أَصَابَ أُمَّ رأْسِه. وقال الْجَوْهَرِيُّ: أَمَّهُ ، أَي : شجَّهُ آمَّةً، بالمدِّ، وَهِيَ الَّتِي تَبْلُغ أُمَّ الدِّماغِ حَتَّى يبقَى بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدِّماغ جِلْدٌ رقيقٌ"(4)، وفي تاج العروس: "الأُمَّـــة مِنَ الرَّجُلِ: قَوْمُهُ وجَماعَتُه، قَالَ الأَخْفش: هُوَ فِي اللَّفْظِ واحدٌ وَفِي الْمَعْنى جَمْعٌ. والأُمَّة لِلَّهِ – تعالَى- : خَلْقُه يُقالُ: مَا رأيتُ من أُمَّة اللَّهِ أَحْسَنَ مِنْهُ"(5) ، وقد استشهد صاحب مختار الصحاح بقول الأخفش السابق وقد أضاف: " وَكُلُّ جِنْسٍ مِنَ الْحَيَوَانِ أُمَّةٌ. وَفِي الْحَدِيثِ **"لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا**"(6) "(7)، وقال ابن الأنباري: "تكون الأمة الجماعة؛ كما قال الله -عز وجل-: ﴿**وَجَدَ عليه أُمَّةً من الناسِ يســـــقون**﴾ **[القصص: من الآية: 23]** معناه: وجد عليه جماعة، وقال تعالى: ﴿**ولتكن منكم آمة يدعون إلى الخير**﴾ [البقرة: من الآية: 104] معناه: ولتكن منكم جماعة"(8)

قال الراغب الأصفهاني: " إن الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً، وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ **[الأنعام: 38]** ، أي: كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع فهي من بين ناسجة العنكبوت، ومدخرة كالنمل، ومعتمدة على قوت وقته كالعصفور والحمام إلى غير ذلك من الطبائع التي تخصص بها كل نوع. وقوله - تعالى -: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ **[آل عمران: 104]** أي: جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم"(9).

ونخلص مما ســبق إلى إجماع أهـل اللغة على أن من المعانــي للفظة (الأمة) الجماعة وقد وردت بهذا المعنى في عدد من آيات القرآن الكريم نجملها فيما يلــي:

في قوله -تعالى - : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**﴾ **[المائدة: 66]** ، وفي قوله - تعالى -: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأعراف: 159] ، وفي قوله – تعالى -: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [الأعراف: 164] ، وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 181] وقوله - تعالى-: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ**

تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[القصص: 23]

وفيما يلي تفسير بعض المفسرين القدامى والمحدثين للوقوف على معنى (الأمة): قال الطبري: "القول في تأويل قوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا **يَعْمَلُونَ**﴾ قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**منهم أمة**﴾، منهم جماعة ﴿مقتصدة﴾، يقول: مقتصدة في القول في عيسى ابن مريم"(10)، وقد فسر النســـفي الآية السابقة بقوله: " طائفة حالها أُمَمٌ في عــداوة رسول الله -عليه السلام- وقيل هي الطائفة المؤمنة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى"(11) ، وأما صاحب أضواء البيان فقد قال: "إنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قِسْمَانِ: طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مُقْتَصِدَةٌ فِي عَمَلِهَا، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَيِّئُ الْعَمَلِ، وَقَسَّمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾"(12)

وقال محمد صديق خان في تفسير قوله - تعالى- : "﴿**وإذ قالت أمة منهم**﴾ ، أي : جماعة من صلحاء أهل القرية لآخرين ممن كان يجتهد في وعظ المتعدين في السبت حين أيسوا من قبولهم للموعظة وإقلاعهم عن المعصية ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ أي: مستأصل لهم بالعقوبة ﴿**أو معذبهم عذاباً شديداً**﴾ بما انتهكوا من الحرمة وفعلوا من المعصية، وقيل إن الجماعة القائلة لم تعظون قوماً هم العصاة الفاعلون للصيد في يوم السبت"(13)

وورد في تفســـير المنار في معنى كلمة (الأمة): "وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ: إِنَّ الْأُمَّةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعْنَى الْجَمَاعَةِ كَمَا هِيَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ ، أَيْ: جَمَاعَةٌ، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ وَلَا تَكُونُ بِمَعْنَى الْجَمَاعَةِ مُطْلَقًا، وَإِنَّمَا هِيَ بِمَعْنَى الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ تَرْبِطُهُمْ رَابِطَةُ اجْتِمَاعٍ يُعْتَبَرُونَ بِهَا وَاحِدًا، وَتُسَوِّغُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِمُ اسْمٌ وَاحِدٌ كَاسْمِ الْأُمَّةِ"(14)

كما ذكر الحقوي أن (الأمـــة): "الجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ فِي المَكَانِ الوَاحِدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾"(15) ، أما ابن كثير فقد فسر قوله تعالى: "﴿وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ﴾ أَيْ لما وَصَلَ إِلَى مَدْيَنَ وَوَرَدَ مَاءَهَا، وَكَانَ لَهَا بئر يرده رِعَاءُ الشَّاءِ ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ أَيْ جَمَاعَةً يَسْقُونَ"(16)

ولا شك في أن لفظة الأمة في الآيات المذكورة تعني الجماعة والطائفة، وهذا ما أكد عليه أصحاب التأويل من المفسرين؛ وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة كانت تحمل نفس المعنى لكلمة أمة في مواضع عديدة بمعنى الجماعة ، وعن أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: "قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ"(17)

خلاصة المبحث الأول:

من خـــلال ما قام الباحث باستعراضه في هذا المبحث فإنه يستخلص منه ما يلي:
اتفق اللغويون على أن من المعاني لكلمة (الأمة) هو الجماعة فقد قال الخليل عن الأمة: هي كل شيء يضم إليه ما سواه مما يليه، وهي أيضاً جماعة العلماء. وقال الراغب الأصفهاني: هي كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً. وقال ابن منظور: أمة الرجل قومه، والأمة الجماعة، ومثله قول الزبيدي: الأمة من الرجل قومه وجماعته. قال ابن الأنباري: تكون الأمة الجماعة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَجَدَ عليه أُمَّةً من الناسِ يسقون﴾. وقال الأخفش: الأمة جماعة كلمتهم وأيديهم واحدة، وكل جنس من الحيوان أمة ، وتظافرت أقوال المفسرين وأصحاب المعاجم على معنى الجماعة للأمة، فقد فسر الطبري وابن كثير وصديق خان والحقوي معنى الأمة هي الجماعة، بينما فسرها النسفي والشنقيطي بأن الأمة تعني الطائفة.

المبحث الثانـــــي ـ الأمة بمعنى أتباع الأنبياء:

ذكر اللغويون وأصحاب المعاجم أن من المعاني اللغوية للفظة الأمة أتباع الأنبياء.
قال ابن منظور: "والأُمَّةُ: القَرْن مِنَ النَّاسِ؛ يُقَالُ: قَدْ مَضَتْ أُمَمٌ أَي قُرُونٌ. وأُمَّةُ كُلِّ نَبِيٍّ مَن أُرسِل إِليهم مِنْ كَافِرٍ ومؤمنٍ. وقال اللَّيْثُ: كلُّ قَوْمٍ نُسِبُوا إِلى نَبِيٍّ فأُضيفوا إِليه فَهُمْ أُمَّتُه، وَقِيلَ: أُمة مُحَمَّدٍ، -صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ-، كلُّ مَن أُرسِل إِليه مِمَّن آمَن بِهِ أَو كَفَر، قَالَ: وَكُلُّ جِيلٍ مِنَ النَّاسِ هُمْ أُمَّةٌ عَلَى حِدَة"(18)
وقال الزبيدي معنى الأمة: "والأُمَّة: جَماعَةٌ أُرْسِلَ إِلَيْهِم رَسُولٌ سَوَاء آمَنُوا أَو كَفَرُوا. وَقَالَ اللَّيْث: كلُّ قَوْمٍ نُسِبوا إِلَى نَبِيٍّ فَأُضِيفُوا إِلَيْه فهم أُمَّتُه، قَالَ: وكُلّ جِيلٍ من النَّاس هُمْ أُمَّةٌ على حِدَةٍ"(19) ، وقال الأخفش في قوله تعالى: "﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ﴾ فجمع على الكُلَّ؛ لأن الكُلَّ مذكر معناه معنى الجماعة"(20) ، قال الناصري في معنى الأمة: "ولإتمام الفائدة في هذا المقام ينبغي التنبيه إلى أن لفظ (أُمَّةٍ) في كتاب الله يستعمل أيضا بمعنى: ... أمة الإجابة المصدقة للرسالة كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: من الآية: 110] وبمعنى: أمة الدعوة الشاملة لكل من

بعث إليه الرسول ممن آمنوا أو بقوا على الكفر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: 47]"(21)

ونخلص مما سبق إلى إجماع أهل اللغة على أن من المعاني للفظة (الأمة) أتباع الأنبياء وقد وردت بهذا المعنى في عدد من آيات القرآن الكريم نجملها فيما يلي:

نذكر منها مايلي: في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس: 47] وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: 49] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36] وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: 89] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 44] وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: 75] وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: 5]

وفيما يلي تفسير بعض المفسرين القدامى والمحدثين للوقوف على معنى (الأمة):

قال الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدّكم عن سبيل الله، فتضلوا"(22)

وفي التفسير الوسيط: "والمعنى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة﴾ من الأمم السابقة رسولًا خاصاً بهم يبلغهم معالم الهدى، ويرشدهم إلى قواعد النظر، ويمدهم بأدلة يدركها السمع والبصر. قائلاً لهم: اعبدوا الله وحده، واتركوا عبادة سواه كالشيطان والأوثان والكهان وكل داع إلى الضلال، ولما بلغوا ما بعثهم الله به من الأمر بعبادته وحده. واجتناب ما عداه. تفرقت أممهم"(23)

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: "﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ

بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.وَالْمُرَادُ مِنَ الْأُمَّةِ هَاهُنَا: الَّذِينَ يَبْعَثُ فِيهِمُ الرَّسُولُ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا دَخَلَ النَّارَ".وَأَمَّا أُمَّةُ الْأَتْبَاعِ، فَهُمُ الْمُصَدِّقُونَ لِلرُّسُلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وَفِي الصَّحِيحِ: " فَأَقُولُ: أُمَّتِي أمتي"(24) ، قال صاحب تفسير المنار في قوله تعالى: "﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الْآيَةَ، وَهِيَ نَصٌّ فِي أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ أَتْبَاعَهُ بِاجْتِنَابِ الطَّاغُوتِ"(25)

وفي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: **"كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى"**(26)

خلاصة المبحث الثانـــي:

وردت لفظة الأمة في غير آية في كتاب الله بمعنى أتباع الأنبياء وذلك من خلال ما تم استعراضه في هذا المبحث فقد ذكر اللغويون أن من معاني الأمة أتباع الأنبياء فقد قال الخليل كل قوم نسبوا إلى شيء وأضيفوا إليه فهم أمة، وكل جيل من الناس أمة على حدة. وقال الأخفش: الأمة جماعة أرسل ليهم رسول سواء آمنوا أو كفروا ، وأما ابن منظور فقد قال: الأمة القرن من الناس، وأمة كل نبي من أرسل إليهم من كافر أو مؤمن، وكل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه فهم أمته.

ـ أجمع المفسرون على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم على أن الأمة تعني أتباع الأنبياء في عدد من الآيات، في قوله - تعالى- : ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ**﴾ وقوله – تعالى- : ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُـــولٌ**﴾ وقوله – تعالى- : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا**﴾ وقوله – تعالى- : ﴿**وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**﴾ وقوله – تعالى- : ﴿**وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ**﴾.

المبحث الثالث ـ الأمـــــة بمعنى الرجل الجامع للخير:

أورد اللغويون وأصحاب المعاجم معنى كلمة أمة بمعنى الرجل الجامع للخير الذي يُقتدى به، وفيما يلي نماذج من أقوال أهل اللغة في هذا المعنى:

قال الخليل في قوله – تعالى-: ﴿**إن إبْرَاهِيم كَانَ أمة**﴾ ، أي: إماماً يُهتدى به وهو سبب الاجتماع"(27) ، وقال الزجاج في قوله تعالى: "﴿**إن إبْرَاهِيم كَانَ أمة**﴾ ، قال أبو عبيدة معنى ﴿**كَانَ أُمّـــةً**﴾ كان إمَاماً، والأمة في اللغة النَعْمَةُ والخير"(28) ، وقال ابن منظور في اللسان: "وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً؛ قَالَ: أُمَّةً مُعلِّماً للخَير. وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فسأله عَنِ الأُمَّةِ، فَقَالَ: مُعَلِّمُ الْخَيْرِ، والأُمَّةُ المُعَلِّم."(29)

وقال الزبيدي في معنى الأمة: "والأُمَّةُ: الإِمَام، وَبِه فسر أَبُو عُبَيْدة الْآيَة: ﴿إِن إِبْرَاهِيم كَانَ أمة﴾ . وَأَيْضًا: الرجلُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ. وَقَالَ الفَرّاء: كَانَ أُمَّةً أَي: مُعَلِّمًا للخَيْر، وَبِه فسر ابنُ مسعودٍ الْآيَة أَيْضًا. وَأَيْضًا: الرجلُ الجامِعُ للخَيْر. وَقَالَ أَبُو عَمْرو: إِنّ العربَ تَقول للشَّيْخ إِذا كَانَ بَاقِي القُوَّةِ: فلانٌ بِأُمَّةٍ، مَعْنَاهُ: راجعٌ إِلَى الخَيْر والنِّعْمَة؛ لأنّ بَقَاء قُوَّتِهِ من أعظم النّعْمَة. والأُمَّةُ: المُلْكُ، ... الإِمَّةُ: الإِمامَةُ. وَقَالَ الأَزْهريُّ: الإِمَّةُ: الهيئةُ فِي الإِمامة وَالْحَالة، يُقَال: فلَان أَحَقُّ بِإِمَّةِ هَذَا المَسْجِد من فُلانٍ، أَي: بإمامَتِه. و الإِمَّةُ: الائْتِمامُ بالإِمام ، والأُمّة، بالضَّمّ: الرجلُ الجامِعُ لِلْخَيْرِ"(30) وقال صاحب التيسير: "ولإتمام الفائدة في هذا المقام ينبغي التنبيه إلى أن لفظ أُمَّةٍ في كتاب الله يستعمل - أيضًا - بمعنى الإمام المقتدى به كما في قوله تعالى: ﴿**إن إبْرَاهِيم كَانَ أمة**﴾"(31)

وفيما يلي تفسير بعض المفسرين القدامى والمحدثين للوقوف على معنى (الأمة):

قال الطـــبري في معنى الأمة: "الأمَّة القانت، قال: الأمَّة: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله. حدثني يعقوب، ... قال: قال ابن مسعود: إن معاذا كان أُمَّة قانتاً لله حنيفاً، فقلت في نفسي: غلط أبو عبد الرحمن، إنما قال الله – تعالى- : ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ**﴾ فقال: تدري ما الأمَّة، وما القانت؟ قلت: الله أعلم، قال: الأمَّة: الذي يعلم الخير، والقانت: المطيع لله ولرسوله، وكذلك كان مُعاذ بن جبل يعلم الخير، وكان مطيعًا لله ولرسوله"(32) ، وقال الشنقيطي في هذا المعنى: "اسْتِعْمَالُ (الْأُمَّةِ) فِي الرَّجُلِ الْمُقْتَدَى بِهِ، كَقَوْلـــِهِ: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ**﴾"(33)، وقال القشيري في تفسير قوله - تعالى- : "﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ**﴾ قيل آمن بالله وحده فقام مقام الأمة، وفى التفسير: كان معلّماً للخير لأمة. ويقال اجتمع فيه من الخصال المحمودة ما يكون في أمة متفرقاً"(34)

وفي التفسير الحديث: "كان أمة: بمعنى كان إماماً يؤتمّ به أو كان صاحب ملّة. وقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود أن معنى الأمة معلم الخير، والقانت المطيع في الآيات: تقرير بأن إبراهيم كان إماماً على طريق الحق خاضعاً لله ملتزماً حدوده غير منحرف عنها وغير مشرك بالله أحدا"(35)

خلاصة المبحث الثالث:

من خلال ما استعرضه الباحث من أقوال اللغويين والمفسرين في هذا المبحث فإنه يستخلص ما يلي:

ـ تظافر أقوال أهل اللغة على أن لفظة (أمة) الواردة في الآية: 120 من سورة النحل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ هي بمعنى الرجل الجامع للخير الذي يقتدى به، قال

الخليل: كان إماماً يهتدى به. وقال الفراء: كان معلماً للخير. وقال ابن منظور: معلم الخير والأمة المعلم. واتفق الزبيدي مع ابن منظور، في أن الأمة الرجل الجامع للخير. وقال صاحب التيسير: إماماً يؤتمّ به أو كان صاحب ملّة.

ـ اتفق المفسرون على اختلاف طبقاتهم على المعنى المتقدم للفظة الأمة في الآية المذكورة. حيث نقل الطبري والناصري عن عبد الله ابن مسعود تفسيرا للأمة بالذي يعلم الناس الخير. ونقل القشيري في تفسيره معنى الأمة، بأنه كان معلّماً للخير. ويقال اجتمع فيه من الخصال المحمودة ما يكون في أمة متفرقاً، وغير بعيد منه قول الشنقيطي: اسْتِعْمَالُ (الْأُمَّةِ) فِي الرَّجُلِ الْمُقْتَدَى بِهِ.

المبحث الرابع ـ الأمة بمعنى الدين والملة:

ذكر اللغويون وأصحاب المعاجم أن المعنى اللغوي لكلمة (أمة) في بعض مواضعها هو الدين والملة. حيث قال الخليل: "الْأُمَّةُ: الدِّينُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22]. وَحَكَى أَبُو زَيْدٍ: لَا أُمَّةَ لَهُ، أَيْ: لَا دِينَ لَهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- فِي زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ: "يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ" ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى دِينٍ حَقٍّ مُخَالِفٍ لِسَائِرِ الْأَدْيَانِ فَهُوَ أُمَّةٌ"(36) ، وكما سبق تبين لنا أن الأمة عند الخليل هي الدين والملة، وهذا ما أكد عليه كل من جاء بعده من أصحاب اللغة والمعاجم ، يقول الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: "﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ أي: على دين مجتمع قال: وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع"(37).

وسار الدامغاني في معنى كلمة أمة على نفس نهج من سبقه في أنها تعني الدين والملة حيث قال: "أمة يعني ملة. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52] يعني ملتكم ملة واحدة كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: من الآية: 108] يعني كل أهل ملة وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [الزخرف: 33] يعني ملة واحدة"(38)

وجاء في لسان العرب: "والإِمَّةُ: الحالةُ، والإِمَّة والأُمَّةُ: الشِّرعة والدِّين. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾؛ قَالَهُ اللِّحْيَانِيُّ، وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: عَلَى إِمَّةٍ. قَالَ الْفَرَّاءُ: قُرِئَ ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾، وَهِيَ مِثْلُ السُّنَّة، وَقُرِئَ عَلَى إِمَّةٍ، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ مِنْ أَمَمْت. يُقَالُ: مَا أَحسن إِمَّتَهُ"(39)

وقال الزبيدي: " وَقَالَ الْأَخْفَش فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿كُنْتُم خير أمة﴾ أَي: خَيْرَ أهلِ دِين"(40)

ومما سبق من استعراض لآراء أهل اللغة والمعاجم في معنى كلمة أمة يتضح لنا جلياً إجماعهم عل أن من معانيها الواردة الدين والملة، وجاء في كتاب الله العزيز مجموعة من الآيات منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 19] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: 118] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 92] وقوله – تعالى- : ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: 52] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: 8] وقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 19].

قال الطبري في تفسيره: "قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما كان الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة فاختلفوا في دينهم، فافترقت بهم السبل في ذلك"(41).

وقال أيضاً: "واختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار ﴿عَلَى أُمَّةٍ﴾ بضم الألف بالمعنى الذي وصفت من الدين والملة والسنة. وذُكر عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز أنهما قرأاه ﴿على إمَّةٍ﴾ بكسر الألف. وقد اختلف في معناها إذا كسرت ألفها، فكان بعضهم يوجه تأويلها إذا كسرت على أنها الطريقة وأنها مصدر من قول القائل: أممت القوم فأنا أؤمهم إمَّة"(42).

ويوافق هذا المعنى الذي جاء به الطبري في تفسير معنى كلمة أمة على أنها الدين والملة كل من جاء بعده من المفسرين والفقهاء قال ابن تيمية في قوله تعالى: "﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ الْآيَةَ، قَالَ قتادة: أَيْ دِينُكُمْ وَاحِدٌ، وَرَبُّكُمْ وَاحِدٌ، وَالشَّرِيعَةُ مُخْتَلِفَةٌ. وَكَذَلِكَ قَالَ الضَّحَّاكُ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْ: دِينُكُمْ دِينٌ وَاحِدٌ، ... جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ، وَالْأُمَّةُ الْمِلَّةُ وَالطَّرِيقَةُ، كَمَا قَالَ: **﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾**"(43)

وفي تفسير حدائق الروح في تفسير قوله تعالى: "﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ يا محمَّد، جعلَ الناس أمةً واحدةً ﴿لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؛ أي: أهل دين واحد، إما أهلَ ضلالة، أو أهل هُدًى. وقيل معناه: جَعَلَهم مجتمعينَ على الحق، غير مختلفينَ فيه، أو مجتمعينَ على دينِ الإسلام دونَ سائِر الأديان، بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد كما كانوا قبل الاختلاف. قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا**﴾ ولكنه لم يَشَأْ ذَلِكَ. أي: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ**﴾ أيها الرسول الكريم الشديد الحرص على إيمان قومك، الحزين من

أجل إعراض أكثرهم عن إجابة دَعوتك، واتباع هديك ﴿**لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِـدَةً**﴾؛ أي: على دين واحد، بمقتضَى الغريزة والفطـرة"(44)

وقال ابن كثير: "لِأَنَّ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ تُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، كَلَفْظَةِ الْأُمَّةِ فَإِنَّهَا تُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الدِّينُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ**﴾"(45) ، وقال ابن عاشور في تفسير قوله - تعالى- : "﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ. وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا الْعَطْفِ إِفَادَةُ أَنَّ كَوْنَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَمْرٌ شَاءَ اللَّهُ تَقْدِيرَهُ، أَيْ أَوْجَدَ أَسْبَابَهُ بِحِكْمَتِهِ وَلَوْ شَاءَ لَقَدَّرَ أَسْبَابَ اتِّحَادِهِمْ عَلَى عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْهُدَى فَكَانُوا سَوَاءً فِي الْمَصِيرِ، وَالْمُرَادُ: لَكَانُوا جَمِيعًا فِي الْجَنَّةِ"(46)

وقال صاحب تفسير التيسير في أحاديث التفسير في معنى الأمة: "لفظ (أُمَّةٍ) في كتاب الله يستعمل أيضا بمعنى... الملة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾"(47)

خلاصة المبحث الرابع:

من خلال ما قام به الباحث باستعراضه ضمن الصفحات السابقة من أقوال أهل اللغة وأهل التفسير، فإنه يستخلص ما يلي:

ـ إجماع اللغويين على أن لفظة أمة في الآيات المذكورة في هذا المبحث هي بمعنى الدين والملة، فقد نص الخليل على أنها الدين، وكل من كان على دين الحق مخالفاً لسائر الأديان فهو أمة، وحكى أبو زيد الأنصاري قولهم: لا أمة له، أي لا دين له، أما الفراء فقال: مثل السنة، وقال الراغب الأصفهاني: دين مجتمع، وقال الدامغاني في عدة مواضع عل أنها الملة. وقال الزجاج: الأمة الدين. وقال الأخفش: أهل أمة أي: خير أهل دين، وقال ابن منظور: الأمة: الشرعة والدين والطريقة والنحلة.

ـ اتفق المفسرون على اختلاف أمكنتهم وأزمنتهم على أن الأمة في الآيات المشار إليها هي بمعنى الدين والملة. إذ قال ترجمان القرآن ابن عباس: الدين. وقال ابن تيمية في الملة والطريقة والدين وحكى أيضاً عن جمهور المفسرين أن الأمة الملة والطريقة. وعبارة (والطريقة) توضح المعنى الذي ذكره الفراء من أنها: مثل السنة، ويماثله قول ابن كثير هي الملة والسنة، ويرى ابن عاشور في عدة مواضع من تفسيره أنها العقيدة والدين والملة، وأضاف ـ أيضاً ـ أن الأمة القصد أي: يؤمون غاية واحـدة لاتفاق في الموطن أو الدين أو اللغة.

المبحث الخامس ـ الأمـــة بمعنى الحـين والزمان:

ذكر اللغويون وأصحاب المعاجم أن كلمة أمة هو الحين والزمان حيث قال ابن فارس في معجمه: "وَالْأُمَّةُ فِي قَوْلِهِ- تَعَالَى- : ﴿**وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**﴾ [يوسف: 45] ، أَي: بَعْدَ حِينٍ"(48)

فالأمة عند ابن فارس هي الحين وهذا ما نجده عند كل من جاء بعده من أصحاب اللغة، ذكر الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: "﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد حين وقرئ بعد أمة أي: بعد نسيان، وحقيقة ذلك بعد انقضاء أهل عصر أو أهل دين"(49)

وعلى هذا المعنى سار الدامغاني بقوله: "أمة يعني سنين معدودة قوله تعالى ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ**﴾ [هود: من الآية: 8] يعني : سنين معدودة، نظيرها في سورة يوسف ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ يعني سنين"(50).

ويقول ابن منظور في لسان العرب عن الأمة: "والأُمَّةُ: الحِينُ. قَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، قَالَ بَعْدَ حينٍ مِنَ الدَّهْرِ. وقال تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾"(51)

ولا شك في أن معنى كلمة أمة في المواضع سالفة الذكر بمعنى الحين والزمان، وهذا ما أجمع عليه اللغويون في المعاجم، ومن خلال البحث في هذه القواميس في معنى الأمة لم يجد الباحث أحداً يخالف هذا الرأي حيث يذكر الزبيدي في معجمه: "والأُمَّة: الحِينُ ، وَمِنْه قَوْله تَعالىَ: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، وَقَوله تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾"(52)

وفيما يلي بعض أقوال بعض المفسرين في تفسير الآيات الآتية:

قوله – تعالى- : ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ**﴾ [هود: من الآية: 8] وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ**﴾ [يوسف: 45]، يقول الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ**﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك، يا محمد، العذابَ وأصل (الأمة)... في معان كثيرة ترجع إلى معنى الأصل الذي ذكرت وإنما قيل للسنين المعدودة والحين، في هذا الموضع ونحوه: أمة؛ لأن فيها تكون الأمة"(53) وقال القرطبي في معنى الأمة: "وَقَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى الْحِينَ وَالزَّمَانَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ – تَعَالَى- : ﴿**وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**﴾ أَي: بَعْدَ حِينٍ وَزَمَانٍ"(54)

ولم يحـــد من جاء بعد المفسرين القدامى عن هذا المعنى في تأويل معاني الآيات المذكورة، فها هو ابن كثير يسير على نفس نهج من سبقه في معنى الأمة في الآيات المذكورة بقوله: "وَالْأُمَّةُ تُسْتَعْمَلُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ، فَيُرَادُ بِهَا: الْأَمَدُ، كَقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿**إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ**﴾ وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿**وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**﴾"(55)، وقال الشنقيطي في تفسير قوله - تعالى-: "﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ**﴾ الْآيَةَ، الْمُرَادُ بِالْأُمَّةِ هُنَا: الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَنِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَقَالَ**

الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، أَيْ: تَذَكَّرَ بَعْدَ مُدَّةٍ"(56)، وذكر ابن عاشور في معنى الأمـــة: "وَالْأُمَّةُ: حَقِيقَتُهَا الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْمُدَّةِ كَأَنَّهُمْ رَاعَوْا أَنَّهَا الْأَمَدُ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ جِيلٌ فَأُطْلِقَتْ عَلَى مُطْلَقِ الْمُدَّةِ، أَيْ بَعْدَ مُدَّةٍ. ومَعْدُودَةٍ مَعْنَاهُ مُقَدَّرَةٌ، أَيْ مُؤَجَّلَةٌ. وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مَدِيدَةً لِأَنَّهُ شَاعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِطْلَاقُ الْعَدِّ وَالْحِسَابِ وَنَحْوِهِمَا عَلَى التَّقْلِيلِ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْقَلِيلَ يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْعَدَدِ، وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ فِي عَكْسِهِ: بِغَيْرِ حِسَابٍ"(57)

خلاصة المبحث الخامس:

وردت لفظة (الأمـــة) بمعنى: الحين والزمان في القــرآن الكريم في آيتين في سـورة يوسف في قوله – تعالى -: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾**، وفي سورة هود في قوله – تعالى -: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾**، ومن خلال ما تم استعراضه ضمن هذا البحث من أقوال اللغويين والمفسرين فإن الباحث يستخلص ما يلـــي:

ـ إجماع أئمة اللغة على أن لفظة أمة في الآيتين المذكورتين تعني الحين، حيث فسر الفراء وابن فارس والراغب الأصفهاني (بعد أمة) في سورة يوسف بقولهم (بعد حين) وقال الزبيدي وابن منظور: الأمة الحين، وأما الدامغاني فقد فسّـــر الأمة في الآيتين بالسنين، وعلى ذلك فهو لم يخـرج بمعناها عن الحين والزمان.

ـ أجمع المُفســرون على اختــلاف طبقاتهم على هذا المعنى للأمة في الآيتين المشار إليهما. فهذا ترجمان القــرآن ابن عباس – رضي الله عنهما- يفسّـــر الأمة بالأجل المحدود، ويوافقه الطــبري ويزيد عليه إذ يقــول: أمة معدودة ووقت محدود وسنين معلومة، ويؤكد على أن الأمة في هذين الموضعين هي الأجل والحين، ويقول أيضاً عن قوله - تعالى-: ﴿**بَعْدَ أُمَّـــةٍ**﴾ أنها تعني: (بعد حين)، ويفسّـر القرطبي الأمة بالحين والزمان، وأما ابن كثير فيقول في تفسيرها: أمد محصور، وفي حين أننا نجد ابن عاشور يصرح بأن الأمة تطلق على المدّة.

الخاتمـــــة:

وفــي نهاية المطاف فإن لفظــة (الأمة) في القــرآن الكريم من حيث معانيها التي تضمنتها هذه الدراسة والتي تتبع فيها الباحث جميع الآيات القرآنية التي وردت بها، وأهم ما جاء من معانيها في المعاجـم وكتب اللغة من ناحية، وكتب التفسير من ناحية أخــرى، مدوناً أقوال اللغويين والمفسرين، مشفوعة بتحليلات ونتائج:

1ـ اتفاق اللغويين على أن للفظة الأمة معاني عديدة: منها الجماعة وجماعة العلماء والعصبة والقوم، ومن معانيها أيضاً أتباع الأنبياء، والقرن من الناس وأمة كل نبي،

والرجل الجامع للخير الذي يقتدى به، وكل من اقتدى به في الأمور، ومعلم الخير، والقائم مقام جماعة في عبادة الله، والإمام الراجع إلى الخير، والمنفرد الذي لا نظير له، وهو كل من كان على دين الحق مخالفاً لسائر الأديان.

2- ومن معنى كلمة الأمة الدين والملة والشرعة والطريقة والنحلة. ومنها: الحين والسنين والزمان.

3- إجماع المفسرين على اختلاف أمكنتهم وأزمنتهم وتباين طبقاتهم، من قدامى ومحدثين على المعاني المذكورة في البحث؛ فذكروا أن من المعاني للفظة الأمة: الناس والجماعة والطائفة والجماعة من الناس، والجماعة الكثيرة، وأتباع الأنبياء والرسل، والذي يعلم الناس دينهم، والرجل فما فوقه، ومعلم الخير الذي يؤتم به أهل الهدى، والمؤمن وحده والناس كلهم كفار، والرجل الجامع للخير، والإمام الذي يقتدى به، ومن كان على الإسلام ولم يكن في زمنه من قومه أحد على الإسلام غيره، ومن كان إماماً في الخير.

4- ومن معانيها: الدين والملة والجماعة على ملة ودين، وأهل الملة والدين، والطريقة، والعقيدة، والأجل المحدود، والأجل المعدود، والوقت المحدود، والسنين المعلومة، والأجل والحين، والزمان، والمدة.

الهوامـــــــــش:

- القرآن الكريم.

[1]- ينظر: نعمان، أحمد، علاقة اللغة بالدين عموماً وعلاقة الإسلام باللغة العربية على وجه الخصوص، مجلة رسالة الجهاد، جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس، العدد 89، 1989م، ص 70-73.

[2] - ينظر: الدسوقي، محمد، في تاريخ القرآن وعلومه، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ط 1، 1983م، ص 211-112.

[3]- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ، ج1/ ص22.

[4]- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج12/ ص33.

[5] - الزبيدي، محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، 1965م، ج 31/ ص 230.

[6]- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام والفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب، حديث رقم: 1485، ج 3/ ص 130.

[7]- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، 1422هـ، ج1/ص22.

[8]- ابن الأنباري، أبو بكر، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم الصالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ، ج1/ ص149.

[9]- الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تح: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، ص 18.

[10]- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، ج 10/ ص 465.

11- النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف بديوي، دار الكلم بيروت، 1419هـ، ط، 1، ج1/ ص 461.
12- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ج1 / ص 417.
13- خان، محمد صديق، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، 1412هـ، ج 5/ ص 60.
14- السيني، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية للكتاب، 1990م، ج 2/ ص 220.
15- الحقوي، خلدون بن محمود، التوضيح الرشيد في شرح التوحيد، دار اللؤلؤة، مصر، 1443ه، ط 1، ص 19.
16- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، ج 6/ ص 204.
17- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تح: محمد زهير، ط1، 1422هـ، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، حديث رقم: 3019، ج 4/ ص 62.
18- ابن منظور، لسان العرب، ج12/ ص 26.
19- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 31/ ص 229.
20- الأخفش، أبو الحسن، معاني القرآن للأخفش، تح: هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ، ج 2/ ص 498.
21- الناصري، محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ، ط1، ج3/ ص 101.
22- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 17/ ص 201.
23- أبو زهرة، محمد أحمد، وآخرون، التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشؤون المطابع المصرية، ط1، 1414هـ، ج 5/ ص 616.
24- ابن كثير، تفسير القـرآن العظيم، ج 4/ ص 308-309.
25- الحسيني، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، 1990م، ج 5/ ص 183.
26- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله عليه الصلاة والسلام، حديث رقم: 280، ج 9/ ص 92.
27- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1/ ص27.
28- الزجاج، إبراهيم ابن السري، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408هـ، ج 1/ ص 283.
29- ابن منظور، لسان العرب، ج12/ ص 27.
30- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 31/ ص 229، 247.
31- الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج3/ ص 101.
32- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 17/ ص 317.
33- الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج2 / ص 173.
34- القشيري، عبد الكريم، لطائف الإشارات، تح: إبراهيم بسيوني، الدار المصرية للكتاب، ط 3، ج 2/ ص 327.
35- عزت، دروزة محمد، التفسير الحديث، دار حياء الكتب، القاهرة، 1383هـ، ج 5/ ص 200.
36- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1/ ص27.
37- الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 19.
38- الدامغاني، حسين بن محمد، قاموس القرآن، أو صلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تح: عبد العزيز سيد، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1980م، ص 42.
39 - ابن منظور، لسان العرب، ج12/ ص 23.
40- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 31/ ص 229.
41- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 15/ ص 47.
42- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 21/ ص 584.
43- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن محمد، مجمع الملك فهد للطباعة، السعودية، 1416هـ، ج 8/ ص 219.
44- الشافعي، محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1421هـ، ج 13 / ص 272.

[45]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1/ ص 158.
46- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج 25/ ص 38.
47- الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج3/ ص 101.
48- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1/ ص 28.
49- الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 19.
50- الدامغاني، قاموس القـرآن، أو صلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص 42.
51- ابن منظور، لسان العرب، ج12/ ص 27.
52- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 31/ ص 230.
53- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 15/ ص 252.
54- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني، إبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ، ج 2/ ص 127.
55- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4/ ص 308.
56- الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج2 / ص 173.
57- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12/ ص 10.